المســـاء

بقلم أمجد الطرابلسي

هوَ ذا الليلُ قد أطلَّ منَ الأفْـ قِ فمَ الفضاء صمتٌ رهيبُ
جاء يختالُ في غلائلهِ السّو دِ وفي وجههِ عبوسٌ مهيب
فتولتْ ذُكاء جازعةَ النو رِ وفرّت وقد علاها الشحوب
بسطت للوداع أيَّ شعاعٍ شاحبٍ قد أمضَّهُ التأويبُ
ما ترى الأفقَ قد تورّد حزناً إنهُ منْ دمِ النهارِ خضيب
كانَ ساحَ الوغى وقد ظفرَ اللّيـ ـلُ كما يظفرُ القويُّ الغصوبُ
وتولّى النهارُ، أيَّ طعينٍ مستضامٍ تسيلُ منهُ الندوبُ
مأتمُ الشمسِ اهكذا الكونُ بغيٌ ودماءٌ طليــلةٌ وحروب
إنْ غدا الليلُ ظافراً فكذا النو رُ على الأرضِ عاجزٌ مغلوب
هكذا يظفرُ الظلامُ ويخبو لهبُ النورِ في الدُّنا ويغيب
هكذا سُـنّةُ الحياة غِلابٌ وكذا الحقُّ هيِّنٌ مغصوب
وأطلّ الراعي ينوح على الشمـ ـسِ كما ناحَ في الربى العنادليب
هبطَ القريةَ الحزينـةَ يبكي وتعالى حُـداؤهُ والنحيب
أكذاك الأكواخُ يغمرُها الصمـ ـتُ ويعلو الحقولَ هذا القطوب؟
أكذاك الطيورُ تندبُ شجواً ويعمُّ الربى الظلامُ الرحيب؟
أينَ سهلٌ يموجُ في لججِ النو رِ ووادٍ جمّ الظلالِ عشيب
أين لحنُ الحياةِ تنشدُهُ القر يةُ؟ أينَ المراحُ؟ أينَ الوثوب
فبكى والقطيعُ بينَ يديهِ خافتُ الخطوِ والثغاء، كئيب
ومشى في الظلامِ يبكي على النو رِ كما سارَ ثاكلٌ محروب
يصرخُ النايُ في يديهِ فتبكي لبكا النايِ أعينٌ وقلوب
هي أنشـودةُ الوداعِ يغنّيـ ـها وقد حانَ للضيـاءِ غروب
هي أنّاتُ شاعرٍ عبقريٍّ عشقَ النورَ واستبتهُ الغيوب
أيهذا المساءُ فيكَ منَ المو تِ دُجاهُ وسرُّهُ المحجوب
المعناهُ الدجيُّ مثلكَ رحبٌ وشبيهٌ بكَ الفناءُ الجديب
هكذا تنطفي الحياةُ ويغشا ها سكونٌ منَ الفناءِ مريبُ
هكذا تسكنُ الأماني للمو تِ، ويبلى ثوبُ الحياةِ القشيب
وتغوصُ الركابُ في ثبَجِ الرمـ ـلِ وتخفى مهامهٌ وسهوبُ
ويضيعُ الضجيجُ في العدمِ القفـ ـرِ وتمّحي معالمٌ ودروبُ
نامتِ القريةُ الحزينـةُ إلا ساهراً نومهُ الهنيُّ سليب
لِمُناهُ بينَ الأضالعِ همسٌ ولخفاقهِ الملحّ وجيب
ظلّ سهرانَ يرقبُ الأنجمَ الزُّ هرَ تهادى كما تهادى حبيب
علقت عينهُ السماءَ ذهولا واستباهُ هـذا الفتونُ العجيب
في لجاجِ السماءِ عرسٌ بهيٌّ وعلى الأرضِ مأتمٌ وكروب
فهناك النجومُ تطفحُ بشراً وهنا الليـلُ حالكٌ غربيب
زغردتْ في السماءِ أنجمُها القرْ حى وغنّى بعيـدها والقريب
وتبدتْ تختالُ عُجباً كما تخـ تال بينَ الشفوفِ خودٌ لعوب
هكذا تضحكُ السماءُ منَ الأر ضِ كما يضحكُ الخليُّ الطروب
إيهِ يا ليلُ رفَّ فوقَ خليٍّ لم تؤرّقهُ لوعةٌ وخطوبُ
وانثرِ الحلمَ والطيوفَ لصبٍّ لم ينغّصْ نعيمَه تعذيب
لستَ يا ليلُ للذي ألفَ السُّهْـ دَ كما يألفُ الغريبَ الغريبُ
أنا يا ليلُ ليس لي من سكونِ الـ ـكونِ أو هدأةِ الظلامِ نصيب
حسبُ قلبي ظلامُهُ ودجاهُ وأساهُ المبرّحُ المشبوبُ
ليَ ليلان ساهران وغيري ليلُهُ باسمُ الطيوفِ خصيب
أنا أحيا الحيـاةَ ليلا طويلا أفيصفو ليَ الدجى ويطيب؟
إطوِ يا ليلُ هذه السُّجُفَ السو دَ فكم تحتَ جنحِها مكروب
كم قلوبٍ وجيعـةٍ ونفوسٍ تحتَ هذا الدجى تكادُ تذوب
يا إلهي سئمتُ هذي الدياجي إن في القلبِ ظلمةً لا تغيب
أنا كهفٌ مهدمٌ مستباحٌ فيـه للحزنِ والشكوكِ نعيب
يصفرُ الغمُّ في دجاهُ كما تصـ فرُ في الليلِ شمألٌ وجنوب
أقطعُ الليلَ ساهراً ذاهلَ الفكـ رِ وفي الصدرِ للهمومِ شبوب
غارقاً في هواجسي وذهولي وعلى العينِ للسهادِ رقيب
شاقني النورُ يا إلهي ولكن أينَ مني السنا وأينَ اللهيب؟
شاقني الشدوُ والغناءُ ولكن أينَ مني اللحونُ والتطريبُ؟
... ...
للضياءِ الحبيبِ يا نفسُ في الأر ضِ مغيبٌ وللحياةِ مغيب
لا يرُعْكِ الظلامُ إن ملأ الكو نَ فإنَّ الصباحَ سوف يؤوبُ

دمشق

أمجد الطرابلسي